الإسلام
بين تآمر أعدائه وحتمية بقائه

الدكتور
محمد صالح عطية الحمداني

جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام، والصلاة والسلام على خير الانام، وعلى آله وصحبه الاعلام ومن تبعهم وعلى نهجهم استقام.

أما بعد:

فقد آمن بالإسلام من صفت فطرهم وحكموا عقولهم وكفر به وتآمر عليه من فسدت فطرهم وعطلوا عقولهم، فعملوا على إجهاضه واطفاء جذوته، لأنه وقف ضد شهواتهم وأطماعهم، ولاجل إظهار القوة الحقيقية للإسلام ضد تلكم المؤامرات وبيانها للسادرين في غيهم لعلهم يرجعون، فقد وسمت بحثي بعنوان (الإسلام بين تآمر أعدائه وحتمية بقائه).

وهو موضوع في غاية الاهمية في الوقت الحاضر إذ تفاقم التآمر على الإسلام وأهله في بقاع العالم، ولذلك ارتأيت أن يكون منهجي استقراء الواقع وصفاً وتحليلاً وصولاً إلى الحقيقة، وقد أملى علي هذا المنهج أن تكون خطة البحث مقسمة على مبحثين عرضت في:

المبحث الاول: تآمر الاعداء اسبابه واهدافه وأساليبه

فيما تحدثت في المبحث الثاني عن حتمية بقاء الإسلام.

أسأله سبحانه أن ينفع بهذا الجهد المتواضع المسلمين ويرد به السادرين أنه نعم المولى ونعم المعين.

المبحث الأول
تآمر الأعداء أسبابه وأهدافه وأساليبه

تعرض الإسلام منذ فجر بزوغه إلى تآمر تعددت اسبابه وكثرت أهدافه وتنوعت اساليبه، ولكنه مع ذلك بقى شامخاً يتحدى، فرد كيد المتآمرين إلى نحورهم على مر الزمان، فكم هجمة اندحرت وكم غزو فشل وكم من اسلوب كشف، عندما كان المسلمون يستضيئون بنوره، ويتمسكون بعقيدته، ويتعاملون بخلقه، وينتضون سيف جهاده ويظهر هذا عندما ندرس تلكم الاسباب والاهداف والاساليب التي انتهجها اعداؤه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أسباب تآمر الأعداء على الإسلام

إن الذي يقرأ التاريخ سيجد أن مؤامرات حيكت ضد الإسلام من لدن اعدائه على مر الزمن، مع كونه جاء منقداً لهم من الضلال إلى الهدى ولكنهم ناصبوه العداء، تدفعهم إلى ذلك اسباب كثيرة فيما يأتي بيانها:

١- إحساسهم مخالفة العقيدة الإسلامية لعقائدهم الزائفة وخطرها عليهم:

هذا الاحساس يشعرهم بالخوف الذي يقلق نفوسهم ويهز مشاعرهم مما يلهب نار الحقد في قلوبهم لمحاربة العقيدة الإسلامية ويظهر ذلك في عدم رضاهم عنها قال ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1] فهم يعدون عقائدهم هدى وعقائد غيرهم هوى ولكن القرآن بين عكس ما يعتقدون فسمى عقائدهم هوى وما جاء به الرسول ﷺ هدى، وفي هذا دليل على

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٠.

عدم اتباع دين اليهود والنصارى[1] ولما رأوا أن المسلمين ينافحون عن عقيدتهم ويستفزون لأبسط شيء ضدها نراهم يغيرون خططهم ويستبدلون مكرهم بمكر أخر يصب لصالحهم ويطول العقيدة الإسلامية التي يحاربونها فدقوا طبول الحرب باسم الارض والاقتصاد وغيرها ظناً منهم أنها اقل وطئاً على المسلمين من مواجهة عقيدتهم، فهم يتلونون كتلون الحرباء لاجل أن يحققوا اهدافهم، فلا نخدع بمكرهم وإلا سوف لا نلومن إلا انفسنا[2].

والذي يتبع اقوالهم يستشف منها أن خوفهم من الإسلام عقيدة وشريعة واخلاقا هو الذي يفزعهم ويظهر الوجه الحقيقي لمعركتهم ضدنا فهذا مورو بيرجو يقول: (إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالامة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، أن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية[3] والسبب الذي يدفعهم للتركيز على العقيدة لأنها الاساس الذي يوحد المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فيما يحمى كل شيء وبذهابها يذهب كل شيء، ولأنها سبب العزة ودافع الجهاد للحصول على الكرامة والمكانة السامية، وهذا لا يروق لاعدائنا ولذلك انتهجوا طريق التفرقة بكل الوسائل لاضعاف ما يوحدنا.

٢- جاء الإسلام ليقر الالوهية لله وينتزعها من غيره فالاديان الصحيحة جاءت لتكون منهج حياة تنظيماً وتوجيهاً وقيادة كل حسب زمانه ومكانه، ولم نجد ديناً جاء من عند الله اكتفى بشعائر تعبدية أو مجرد عقيدة يحملها ضمير الانسان مع كونهما ضرورة حياة ولكن عززهما بمنهج عملي في حياة الناس،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٦٥.

(٢) ينظر: التربية الإسلامية في ظلال القرآن – عبد الله ياسين: ١٤٧.

(٣) قادة العرب يقولون ومروا الإسلام وابيدوا أهله- جلال العالم: ٥٣.

يؤاخذون على مخالفته بعقوبات وتعزيرات للقضاء على الفوضى، وبسط الامن والطمأنينة ليعيش الناس بسلام، والحياة لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والتشريع بين مصدر واحد له السلطة على الباطن والظاهر وفق نظامه الجزائي في الدنيا والاخرة، لكون تعدد مصادر التلقي تفسد الحياة وتمزق النفس البشرية لتضارب تلك المصادر المختلفة في اتجاهاتها ومناهجها كما اشارت الآيات القرآنية إلى ذلك بقوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالارْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[2].

وعليه فإن الأسس التي تعد قوام دين الله ليكون منهج حياة هي:

١- عقيدة تنشئ التصور الصحيح في الوجود.

٢- شريعة تحكم واقع الحياة.

٣- الشعائر التعبدية التي تربط المخلوق بالخالق[3].

والإسلام هو الدين الوحيد الذي يحقق ذلك، لأنه الدين الذي يحقق للإنسان كرامته ويمنحه حريته، وينفي ألا تكون إلا الله عبوديته، ولا يقر لاحد بخصائص الوهيته، ويجعل الهيمنة المطلقة لمنهجه[4] لذا نجد سيدنا محمداً ﷺ لم يداهن ولم يتملق ولم يهادن اعداءه مهما تكالبت عليه القوى فقد قالها في آذان الطغاة

---

(١) سورة الانبياء الآية: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٧١.

(٣) ينظر: التربية الإسلامية في ظل القرآن – عبد الله ياسين: ١٥٠.

(٤) ينظر: هذا الدين – لسيد قطب: ١٨، ٣٤، ٥٢.

ومركز القوة والسيادة متبرئاً مما يعبدون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ*لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ*وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ*لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1] وهذا الاعتقاد هو ما يدعو اليه الإسلام لذلك عده الاعداء الجدار الصلب الذي يعترضهم لتحقيق مأربهم لأنه القوة التي تخيفهم يقول المستشرق غاردنر: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا"[2] فهل وعى المسلمون ذلك وحافظوا على جدارهم ممن يريد هدمه وقوتهم التي يريدون شتاتها.

٣- النقمة من المؤمنين: أن السبب الرئيس الذي يدفع الاعداء لمحاربة المؤمنين والانتقام منهم لا لشيء سوى أنهم يؤمنون بالله قال ﷻ: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل قبل وأن أكثركم فاسقون)[3] وآية فسقهم هو انحرافهم عن الايمان بالرسالة التي انزلت على سيدنا محمد ﷺ وهي مصدقة لما بين ايديهم ومع ذلك فهم يديمون اشتعال نيران حقدهم على المؤمنين بباعث فسقهم الذي حملهم على النقمة من المستقيمين على المنهج وهذا ما اثبتته اللفتة القرآنية بقاعدتها النفسية الواقعية وهي: (إن الذي يفسق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم أن وجوده يشعره دائماً بفسقه وانحرافه ومن ثم يكرهه وينقم عليه. يكره استقامته وينقم منه التزامه؛ ويسعى جاهداً لجره إلى طريقه؛ أو للقضاء عليه إذا استعصى قياده)[4] وهذه القاعدة عامل لكل المنحرفين عن الاستقامة،

---

(١) سورة الكافرون الآيات: ١-٦.

(٢) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله- جلال العالم: ٤٨.

(٣) سورة المائدة الآية: ٥٩.

(٤) في ظلال القرآن سيد قطب: ٢/ ٧٨٦.

ولذلك لابد من اصطدام الخير والشر والحق والباطل لأن الإلتزام بالاستقامة تثير حقد الفساق وغيظ المنحرفين فالمواجهة حتمية لا خيار فيها لأصحاب الحق وعليه يجب الاستعداد للمعركة بوعي وعدة، وتجنب الاوهام والخديعة وما يخطط له الإعداء ببعد نظر ودراسة حال[1].

٤- ناصبوا الإسلام العداء لأنه ينظم علاقات الانسان بخالقه والكون والناس والنفس وهذه الرباعية تقلقهم وتقضي على أحلامهم لاستبعاد الناس والسيطرة على العالم، فالعلاقة بين (الخالق والمخلوق قائمة على افتقار الانسان في جميع احواله إلى الخالق العظيم لأن المخلوق ناقص مهما كمل والخالق وهو الكامل الكمال المطلق في وجوده وسائر صفاته)[2].

ولذلك فالتوجه لله وحده يغرس في نفس المؤمن عزة وانفة وتواضعاً واطمئنانا وعزماً وثباتاً وشجاعة وقناعة وسعادة وبعد نظر[3].

أما علاقة الانسان بالكون فتظهر في ناحيتين:

الاولى: صلة استثمار وانتفاع: وهذه واضحة الظهور فلا يوجد شيء في الكون إلا وللانسان فيه منفعة فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله ﷻ: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ*وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ*وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٧٨٦.

(٢) نظام الإسلام: محمد مبارك: ٥٣.

(٣) ينظر: تفاصيل ذلك في: مبادئ الإسلام – للمودودي: ٦٦-٦٧، والإسلام المفتري عليه – محمد الغزالي: ٧٣. والمجتمع الانساني في ظل الإسلام: أبو زهرة: ١٧-١٨ ومعالم الثقافة الاسمية – د. عبد الكريم عثمان: ٥٣، والإسلام: د. احمد شلبي: ٩٩، والحضارة الإسلامية اسسها ومبادؤها – المودودي: ١٤٧.

رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] وذلل الله ﷻ الارض والبحار والشمس والقمر والليل والنهار لصالح الانسان كي يدفع لاستثمارها والانتفاع بها بفضل ما زود به من استعدادات وإمكانيات.

الثانية: صلة التأمل والاعتبار فقد حث القرآن الكريم الانسان على أن يفعل ما حوله فوجه نظره إلى مشاهد الكون لتكون مصدر إثارة ولتأمله اعتباره، فكان الكون موضوع التأمل والاعتبار قال سبحانه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] وعليه فان العقيدة هي التي تحدد هذه الصلة.

وتخص المكان لهذا المخلوق الذي يعد سيد الكون لكون (الفطرة الانسانية متناسقة مع فطرة الكون. وأن فطرة الكون، كفطرة الانسان تحتوي على عناصر الحركة والابداع والنمو والترقي، ومن ثم ستجد الفطرة أن كثيراً من هذه الحضارات يلبي ويتمش مع حاجاتها الحقيقية المترقية ولن تصطدم إلا بما هو ضار بكينونة الانسان ذاته)[3].

زيادة على هذا فالقوة والعقل والعلم والارادة والحياة جعلت الانسان مؤهلا ليكون خليفة فيستثمر وينتفع بما في الكون لبناء حياة راقية يقودها منهج علمي سليم[4].

---

(١) سورة النحل: الآية ٥-٧.

(٢) سورة يونس: من الآية ١٠١.

(٣) المستقبل لهذا الدين – سيد قطب: ١٠٨.

(٤) ينظر: نظام الإسلام – محمد مبارك: ٦٤-٧١ والانسان والكون في الإسلام – د. أبو الوفا الغنيمي: ٦٧-٧٤ والإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت: ٤٩-٥١ ومعالم الثقافة الإسلامية – د. عبد الكريم عثمان: ٢٣-٢٥ وتجديد الفكر الإسلامي – د. محسن عبد الحميد: ١١٦.

أما علاقة الانسان بالناس فهي علاقة أخوة لأنها علاقة تفوق قوتها علاقة الدم والنسب ولذلك أقرها الله ﷻ في القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وبهذا رفض أن يفترق الناس تعصباً للجنس أو القبيلة وإنما يجمعهم إله واحد وغاية واحدة وبذلك فتح المجتمع الإسلامي ابوابه للجميع يحتضنهم ويوحد صفوفهم متخطياً عوامل الفرقة والتناحر التي سادت قبل الإسلام فقضى على النعرات الطائفية والنظرة الضيقة للحياة، والاخوة التي دعا اليها القرآن الكريم أمر مستقر لا يكون بدون ايمان ومحال أن تتنافر قلوب اجتمعت على الايمان بالله وغمرها حب الله لأن الايمان جاذبية تدعو اصحابها إلى التقارب والتعاطف وهذا هو المقصود بقوله ﷻ: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[2] فالاخوة الإسلامية تستمد قوتها من قوة عقيدتها وتستند على دعائم روحية وانسانية صادقة غير منفصلة، وهذه المنطلقات تبني مجتمعاً قوياً صوَّره رسول الله ﷺ أجمل تصوير بقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[3].

وإذا ظهر لنا بوضوح علاقة الانسان بخالقه والكون والناس فان كيان الانسان واحد لا انفصال بين ماديته وروحانيته ، فهو في ثنائيته يجب أن يسير في اتجاه منسق متوازن ليضمن الحياة المستقرة، وهذا التوفيق ليس بالامر المستحيل

---

(١) سورة الحجرات: من الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٠٣.

(٣) صحيح مسلم: ٨/٢٠.

كونه نداء الفطرة لأن ميل أحد العنصرين لما تقضيه طبيعته يخسره الجانب الاخـــر، لأن الانسان لا يكون إنساناً إلا بروحه وجسده معاً[1].

وهذا المخلوق المكلف المسؤول جعلت حياته اختبـلواً ﴿إِنَّـا خَلَقْنَـا الانْسَـانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2] وحمل أمانة وجعل صـــاحب إرادة قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الامَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَالْجِبَالِ فَـأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَـهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الانْسَانُ﴾[3] فكان بذلك المخلوق الوحيـــد الـــذي يســـتطيع الارتفاع لقمة الانسانية، أو الهبوط إلى حضيضها، فهذه المسؤولية يرجـــع اليـــها كماله ونقصه، حمده وذمه، ومن هنا فعمله نجاته، كما أنها ســـر تكريمـــه وتـــأكيد حريته، فيقدم إلى اعماله خيرها وشرها باختياره، ولما كانت مسؤولية الانسان ثنائية فكما هو مسؤول عن نفسه في الحفاظ على توازن المادة والروح ونبـــذ الكســـل واعطاء الحرية حقها والقيام بواجب التكليف في اداء رسالته في الحياة، كذلك هـــو مسؤول عن غيره لأنهما يكونان المجتمع، ولذلك فما عليه إلا أن يســـلك الطريـــق المستقيم ليعطي التكليف حقه والمسؤولية قيمتها[4].

---

(١) ينظر: الإسلام والانسان –ابراهيم عوضين: ٩٤-٩٦، والله والانسان – عبـــد الكـــريم الخطيب: ١٨/١٦، والانسان في القرآن – عباس محمود العقاد: ٣٠.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢.

(٣) سورة الاحزاب: من الآية ٧٢.

(٤) ينظر: الإسلام والانسان: ابراهيم عوضين: ١٤٥-١٦٠، ونظام الإسلام: محمد مبـــارك: ٨١-٩٢، والإسلام ضرورة عالمية – زاهر عزب الزعبي: ١٦٩، وارادة التغير في الإسلام – صابر عبد الرحمن طعيمة: ٨٣.

وعليه فان سارت العلاقات الرباعية على هذه الشاكلة فأنها تفوت على الاعداء الفرصة من العبث واستعباد الناس والسيطرة على العالم بمناهجهم الملحدة فتسوء العلاقات وتنفصم عرى الاخاء.

المطلب الثاني: أهداف تآمر الاعداء على الإسلام

لقد وضع اعداء الإسلام أهدافاً متعددة يحاولون الوصول اليها لأجل الاساءة إلى الدين الإسلامي وتشويه معامله ويمكن تحديد تلك الاهداف بما يأتي:

١- منع انتشار الإسلام في أوربا خوفاً من إيمان مواطنيهم بتعاليمه السمحة ومساواته بين الناس، ولذلك دفعهم حقدهم لتشويه حقائقه وقيمه النبيلة[١] فصوروا الإسلام بأنه منبع الزندقات، وأنه فرقة خرجت عن الكنيسة، وأنه خليط من أصول يهودية ومسيحية، والإسلام يدعو إلى الدنيا وهو دين مادي لا روحانية فيه[٢].

وهذا افتراء واضح على ديننا الحنيف الذي يجمع بين المادية والروحية إذ لا تتم الحياة إلا بهما، ولذلك لا يحمد الاسراف في أحد الجانبين على الآخر فالروح والجسد ملاك الذات الانسانية، فبالروح يدرك ويفكر ويحب، وبالجسد يتحرك ويحس[٣]، وما أدل على ذلك إلا قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

---

(١) ينظر: البحث الموسوم الاستشراق نشأته واهدافه – د. حسن ضياء الدين – مجلة كلية الشريعة – مكة المكرمة – العدد الخامس/ ١٤٠٠هـ: ٣٧.

(٢) ينظر: العقيدة والشريعة في الإسلام – جولد تسهير: ٢٧ – والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي– د.محمد البهي: ٥١٩ ودفاع عن العقيدة – محمد الغزالي: ٢٧.

(٣) ينظر العقائد الإسلامية: السيد سابق: ٢٢٣-٢٢٤ والانسان في القرآن – عباس محمود العقاد: ٣٠.

سَاجِدِينَ﴾[1] الذي يدل على خلق الانسان من مادة وروح ولذا دعا الله سبحانه المسلمين إلى الاستمتاع بالدنيا استمتاعاً لا يثلم دينهم ولا يضر باخرتهم فقال جل وعلا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الاخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الارْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] وهذا ما يرد افتراءات الاعداء وتجنيهم على الإسلام.

٢- إبعاد المسلمين عن دينهم وبث الفرقة بين صفوفهم، لكي يكونوا يدا طيعة ولقمة سائغة للغرب، هدفهم في كل ذلك اضعاف المسلمين واستغلال موارد بلادهم لحاجتهم إليها، وقد سلكوا طرقا متعددة منها التشكيك بصحة رسالة النبيﷺ ومصدرها الالهي لأنهم يعتقدون أن التمسك بها يشكل سر وحدة المسلمين وقوة تلاحمهم، ولذلك راحوا يروجون اباطيلهم ضد الإسلام ورسوله الكريم وكتابه العزيز فوصفوا الرسولﷺ بأبشع الاوصاف، وصوروا القرآن بأنه غير منسجم ويخالف العقل ويعوق الفكر[3]، ولكنهم يظهرون عكس ما يبطنون فهم يرون في القرآن سر قوة المسلمين ولذلك يقول غلادستون: ما دام هذا موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[4].

---

(١) سورة الحجر – الايتان: ٢٨-٢٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٣) ينظر: الاستشراق نشأته وأهدافه- د. حسن ضياء الدين – مجلة كلية الشريعة – مكة المكرمة – العدد الخامس- ١٤٠٠هـ: ٣٧-٣٨.

(٤) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وابيدوا أهله- جلال العالم : ٦٥.

لا بل ذهب المبشر تاكلي إلى القول: (يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا)[1].

٣- تحطيم الوحدة الفكرية: لقد عمل اعداء الإسلام على بث الخلافات الفكرية بين الفرق والمذاهب، وهذا يؤدي إلى ايقاظ الفتن وتمزيق شمل الامة وايقاع العداوة والبغضاء مما مهد أمام الغرب سلب الخيرات، وصور أن هذا الانقسام والتطاحن والفرقة نتيجة لتمسك الامة بدستورها، ولذلك دعوا إلى ايجاد مناهج لا دينية تجمع الامة الإسلامية متناسين ان السبب الرئيس في هذا الدمار هو الاعراض عن دين الله الذي ارتضاه لنا والمروق منه واخضاع تعاليمه لتأويلات غير معقولة تخدم الاستعمار وتحقق له هدفه[2].

لأن الوحدة الفكرية تقض مضاجعهم ففيها قوة المسلمين ولذلك عملوا على عدم فاعليتها بكل ما اوتوا من مكر فهذا ارنولد توينبي يقول: أن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ[3] وهذا الكلام ينم عن خوف من وحدة المسلمين التي تتحطم عليها كل دسائس الاعداء ومؤامراتهم الخبيثة.

٤- التنفير من العودة إلى الخلافة الإسلامية كان هدفا مهما لاعداء الإسلام لأنها خطر على وجودهم، لذلك بذلوا جل اهتمامهم إلى سقوط الدولة

---

(١) المصدر نفسه: ٦٥.

(٢) ينظر: الاستشراق نشأته وأهدافه، د. -حسن ضياء الدين - مجلة كلية الشريعة - مكة المكرمة، العدد الخامس - ١٤٠٠هـ: ٤١-٤٢.

(٣) قادة الغرب يقولون دمروا الاسم وابيدوا أهله - جلال العالم: ٧٣.

العثمانية، ويذكر التاريخ أن انكلترا لم تنسحب من تركيا إلا بعد تنفيذ الشروط الاتية:

أ- الغاء الخلافة الإسلامية.

ب- على تريكا إخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ت- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

ث- أن تضع دستورا مدنيا بدلا من الاحكام الإسلامية.

ولعلك تجد ما في الشروط من عداء وحقد ضد الإسلام والذي ظهر واضحا فيها والذي أكده كرزون وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني والذي استعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النواب الانكليز بعنف عليه، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم عن الغرب؟

فاجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم....قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة، فصفق النواب الانكليز وسكتت المعارضة[1].

ولم يكتفوا بذلك بل شوهوا سمعة كثير من الخلفاء فوصم: (العديد من خلفاء بني العباس بالضعف أو التسرع أو التعطش للدماء أو فقدان السياسة الواضحة)[2].

---

(١) كيف هدمت الخلافة – عبد القدوم زلوم: ١٨٧.

(٢) الاستراق وتاريخ العصر العباسي – د. فاروق عمر قدوري مقال: منشور في محكمة الاستشراق العدد الاول / ك٢/ ١٩٨٧: ١٢٤.

٥- تمزيق الوحدة اللغوية في الامة الإسلامية: لقد وصمت اللغة العربية بأنها لا تساير موكب العلم والحضارة، وهذا غمط لحق لغة تعد من أقوى لغات العالم في توليد الالفاظ سواء كان بالنحت أو الاشتقاق، ولقد تفنن الأعداء في طعنهم هذا فمن مزاعمهم أنها اقتبست من لغات أخرى مستهدفين بذلك أن الرسول اقتبس دينه من اديان اخرى، وكذلك إن هذه اللغة جامدة لا تلبي مطالب الناطقين بها، زد على ذلك طعنهم بأنها يعسر تعلمها، ولا يخفى ما وراء هذا الادعاء فان ضربها يعني ضرب الامة بأسرها، وان ابعاد ابناء الامة عن لغتهم يجعلهم ينطقون بلهجات محلية وهذا ما يقطع أوصالها ويضعف وحدتها فكراً واعتقاداً[١].

٦- اضعاف الشخصية الإسلامية: بما إن التاريخ هو شخصية الامة لذا فتعد الدراسات التاريخية اخطر سلاح يستعمله الاعداء لاضعاف الشخصية الإسلامية، ولذلك اتجهوا إلى دراسة التاريخ الإسلامي المشرق، ففصلوا القول في الخلافات وبرزوا الفتن والمحن وعمقوها اكثر، ولكنهم إذا ما رأوا صفحة ناصعة ومجداً تليداً أوجزوا القول وغضوا الطرف مستهدفين إيهام المسلمين أن تاريخهم مشحون بالتناحر، وأن الإسلام لم يغير فيهم شيئاً وبهذا استهدفوا الإسلام ليحملوه المسؤولية، ولكن الانصاف والامانة العلمية لم تحملهم للقول بان المخالفة لتعاليمهم القرآن قد ادت إلى تلك الفتن لأنها تعطي المسلمين المعاصرين دروساً بليغة للتمسك بالإسلام وهذا ما لا يسعون

---

(١) ينظر البحث الموسوم الاستشراق نشأته وأهدافه – د. حسن ضياء الدين – مجلة كلية الشريعة، مكة المكرمة / العدد الخامس/ ١٤٠٠هـ: ٤٢-٤٣.

اليه كما أنهم لا يعرضون دراسة تاريخهم كما يدرسون تاريخنا وما يوجد في تاريخهم لا مثيل له عند العرب لا قبل الإسلام ولا بعده[1].

٧- تدمير اخلاق المسلمين: يواجه عالمنا الإسلامي حربا شعواء لتدمير اخلاقه، خطط لها أعداؤه لأنهم يدركون ما لفسادها من أهمية كبيرة ينفذون بها إلى ما يسعون إليه من أضعاف للمسلمين وانتزاع أهم مقوماتهم ولذلك سلكوا وسائل متعددة منها على سبيل المثال الملابس العارية والافلام الخليعة والاغاني الماجنة وحفلات الاختلاط التي تهان فيها الاخلاق وتنهار القيم ويهتك الحياء[2] وقد ركزوا على افساد المرأة لأنها تربي النصف الاخر للمجتمع للقضاء عليه فأخرجوها من خدرها الحصين إلى ساحات الرقص والكؤوس ومسارح الانحراف والدعارة، وقد قال بعض من يروج ويقود مثل هذه الاعمال: كأس وغانية تفعلان في تحطيم الامة الإسلامية اكثر مما يفعله الف مدفع فاغرقوها في حب المادة والشهوات)[3] أذن فالعلاقات الاسرية انفصلت عن قواعد الاخلاق وصارت علاقات جسدية ولذائذ شهوانية، وفي عالم السياسة اخذوا بالغاية تبرر الوسيلة حتى ولو كانت الوسيلة غير مشروعة وهذا ما يرفضه الإسلام اساساً، وفي عالم الاقتصاد جنحوا إلى الربا والاستغلال غير المشروع والربح الفاحش[4]. وكل هذه الامور وغيرها تترك مسحتها الظاهرة على السلوك الانساني والتي تسقطه في مستنقع الرذائل كما يريد اعداء الإسلام لصدهم عن عقيدتهم وضعفهم

---

(١) ينظر البحث الموسوم الاستشراق نشأته وأهدافه – د. حسن ضياء الدين – مجلة كلية الشريعة، مكة المكرمة / العدد الخامس/ ١٤٠٠هـ: ٤٤.

(٢) ينظر: أخلاقنا أو الدمار– ابراهيم النعمة: ١١-١٤

(٣) إلى كل أب غيور – عبد الله ناصح علوان: ٣٠.

(٤) ينظر الفكر الإسلامي – د. محمد الصادق عفيفي: ٢٣٤-٢٣٥.

والسيطرة عليهم وعلى اقتصاديات بلدانهم فهل وعـــى المســـلمون مخطـــط اعدائهم.

٨- ابعاد المسلمين عن امتلاك ناصية العلم والقوة الصناعية وابقائهم مستهلكين لا منتجين: يسعى اعداء الإسلام بكل ما اوتوا من مكر وخداع إلى ابعـــاد المسلمين عن امتلاك المسلمين ناصية العلم وولوج العالم الصناعي وابقائـــهم مستهلكين لا منتجين ولا يخفى أن هذا الامر يبقى الشعوب الإسلامية ضعيفة وتابعة يسهل السيطرة عليها واستغلال ما تضمنته أرضهم من مواد أولية مـع علمهم إن امتلاك المسلمين ناصية العلم معناه القضاء على مكانتـــهم لأنهـــم سيخسرون ما يديم صناعتهم وسيربح المسلمون الجانبين الروحـــي والمـــادي وبهما يتم اعداد المسلم المتوازن القوي الذي يخشـــاه الاعـــداء، ولذلـــك يروجون دعاوى باطلة منها ان القرآن حارب الفكر ووأد حرية الرأي ومنـع معتنقيه أن يشتغلوا بالعلوم الدنيوية، وأن دوره انتهى وجاء دور العلم وكـــل هذه الاباطيل مفادها أن الدين يعارض العلم وهذا إدعاء مزيف لا تســـنده حقيقة ولا يقره واقع وينطق إما من جهل بالمبادئ الإسلامية، وإما أنه صـــادر من حقد وضغينة للدين، وإذا ما عرفنا أن مثيري هـــذه الاتهامـــات أمثـــال أرنست ورينان وفولتير وديرو وروسو يتضح لنا أن غرضهم إطفـــاء نـــور الإسلام وابعاد اهله عنه[١].

لأنهم يعدون ذلك خطراً عليهم فهذا أحد المســـؤولين في وزارة الخارجيـــة الفرنسية عام ١٩٥٢ م يقول: أن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشرا عنيفـــاً هو الخطر الإسلامي)[٢].

---

(١) ينظر: الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني – جمع محمد عمارة: ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وابيدوا أهله جلال العالم: ٧٨.

ولما كان يشعر بهذا الشعور الذي يتم عن خوف شديد لذلك نراه يقدم التبرير الذي يميت رغبة المسلمين في الانتاج ويرهب اتابعه من عدم تحقيق ذلك بقوله: فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الانتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب وينتهي معه دوره القيادي في العالم[1].

وهذا الكلام لا يحتاج إلى تحليل وأنت القارئ الحصيف فانظر كيف يحقدون ويخططون، فما علينا إلا أن نوحد الصف ونشد العزم ونقتحم كل المجالات بعقل واع وهدف واضح لافشال مخططاتهم.

المطلب الثالث: أساليب تأمر الاعداء على الإسلام

تعددت أساليب الاعداء في الاساءة إلى الدين الحنيف وابعاد الناس عنه بمخطط مدروس ومنظم يشرف عليه مختصون وتصرف لاجله الاموال سعيا لتحقيق مآربهم لاطفاء جذوة هذا الدين وتفريق المسلمين ومحو الشخصية وضياع التراث وفيما يأتي أهم الاساليب:

١- اسلوب التشكيل في العقيدة والرسول والقرآن المجيد والنظام الإسلامي ويظهر ذلك من أقوالهم الحاقدة؛ فقد وصفوا العقيدة الإسلامية بانها عقيدة تجعل المسلم حائراً متردداً خاملا كسولا فهذا كيمون الفرنسي يقول: (إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول

---

(١) المصدر نفسه: ٧٨.

والكسل ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح)[1].

ولا يخفى ما في هذا القول من قلب الحقائق ويصدق فيه المثل القائل: (رمتني بدائها وانسلت)[2] ولم يكتف الاعداء بوصم العقيدة بهذا وبغيره ولكنهم تعدوا على شخصية الرسولﷺ فوصفوه حاشاه بالصرع يقول غوستاف لوبون: (وقيل أن محمدا كان مصابا بالصرع ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي، وكل ما في الامر...أنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان، وإذا عددت هوس محمد ككل مفتون وجدته حصيفا سليم الفكر ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح)[3].

ان استخدام صيغة (قيل) التمريضية لا تدل على التثبت والنقل الصحيح كما إن ربط الامر بالناحية العلمية تصور عمومية الحقيقة للعامة وتظهره بكونه حياديا ولكن لا يختلف هذا عن اتهام المشركين لهﷺ والذي جاء على لسانهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[4] ولم يسلم القرآن الكريم من الطعن حيث عدوه عقبة كأداء في سبيل تقدم المسلمين يقول وليم جيفورد بالكراف: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم تبعده عنها إلا محمد وكتابه)[5].

---

(١) تاريخ الامام: ٢/ ٤٠٩ والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي: ٣٧.

(٢) مجمع الامثال: للميداني: ١/ ٤٠١.

(٣) حضارة العرب: ١١٣-١١٤.

(٤) سورة الحجر: الآية ٦.

(٥) الغارة على العالم الإسلامي – شاتلية: ٩٣-٩٤.

ومما تقدم يظهر بجلاء حقد الاعداء لنظام الإسلام وهذه اقوالهم شاهدة عليهم وما تخفي صدورهم اكبر، فهذا لورنس براون يقول إن (الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي)[1].

٢- اسلوب التأمر على الحياة الاجتماعية والذي شمل تبديل المفاهيم والعادات والتقاليد الاصلية إلى ما يؤمنوا به ويسعوا لتحقيقه من وراء ذلك مركزين على المحاور الاتية:

أ- المرأة: اتجهت جهود اعداء الإسلام إلى افساد المرأة لعلمهم أنها مربية الجيل ومصنع الرجال فتخليها عن مهمتها يعني القضاء على الامة، كما اثاروا موضوعات تعدد الزوجات والطلاق وإلغاء عقوبة الزنا إذا توفر رضا الطرفين وذكرت قوانين إن (من واقع انثى بعد رضاها يعاقب بالاشغال المؤيدة أو المؤقتة، وإذا وجد الرضا فلا جريمة ولا عقاب مع توافر الارادة والتمييز)[2].

كما روج الاستعمار إن عدم زواج المسلمة بغير المسلم يعد فكرة عنصرية[3].

ب- تحديد النسل: روج اعداء الإسلام فكرة تحديد النسل تحت غطاء خشية الفقر والضعف الاقتصادي ووجهت الشعوب النامية لذلك لا لشيء وإنما للحد من خطرها، لما للعامل البشري من اثر فعال في بناء الشعوب ومواجهة الاخطاء والى جانب هذا توفير الخامات والثروات

---

(١) التبشير والاستعمار – د. مصطفى الخالدي و د. عمر فروخ: ١٨٤.

(٢) كفاح دين – محمد الغزالي: ٢٠١-٢٠٢.

(٣) ينظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي: ٤٣-٤٨.

التي بيد هذه الشعوب واستغلالها، وإلا بماذا تعلل بث فكرة تحديد النسل بين شعوب كثيرة الموارد وتستورد عمالتها من الخارج، ولماذا يمنع التقدم الالي عن بلاد زراعية كالسودان وبلاد افريقيا وفيها من الانهار والموارد ما يغطي وجه الارض خيراً لكنها لا زالت تئن تحت وطأة الفقر لا لشيء إلا لأن الاستعمار يريد ابقاءها هكذا ليحلب مواردها ويضعف قوتها سواء بعدم استخدامها التكنولوجيا أو باثارة الفتن والحروب الداخلية[1].

ج- المذاهب المنحرفة: يسعى اعداء الإسلام لطمس نور الهداية ومعالم الفطرة الانسانية وذلك باظهار مذاهب منحرفة تلفت الانظار وتستهوي مبادئها الاهواء والشهوات مستهدفين اثارتها عن جهتها الانسانية وتفرقة الشعوب والاستيلاء على الافكار وطمس الايمان ومن هذه المذاهب القاديانية[2] والبابية والبهائية[3]

---

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية –د. توفيق يوسف الواعي: ٧١٦.

(٢) القاديانية: ينسب هذا المذهب إلى أحمد غلام قادياني، الذي ادعى النبوة والرسالة وقد غالى غلام احمد في غرورة وتعاظمه حتى أنه عد من لا يقبل دعوته كافراً، وتطاول على تعاليم الإسلام، وفسخ الجهاد ومدح الانكليز كثيرا، وكان حريصاً على تأييد حكومتهم بل (ويحمد الله حيث ولد تحت راية انكليزية بعيداً عن المسلمين) ولا يخفى أن هذا المذهب ملحد ومارق من الدين يسعى لتقويض اركانه متستراً بدعوته للإسلام. ينظر: القاديانية – محمد الخضر حسين: ٢٩ والقادياني والقاديانية دراسة وتحليل – الندوي: ٧٣-٧٥.

(٣) البابية والبهائية: ظهرت البابية في ايران حيث ادعى ميرزا علي أنه نبي، واطلق على نفسه اسم باب الدين، وأنه ملتقى الاديان الثلاثة واستمدت تعاليمها من مصادر غنوصية، احدثت اضطرابات أدت إلى سجن الباب واعدامه، واثر هذا انتقل البابيون إلى عكا

والوجودية[1] والفوضوية[2] وغيرها.

د- لما كانت اللغة العربية هي اقوى عوامل وحدة المسلمين فقد جعلوها هدفهم فادعوا بأنها تعارض الإسلام وهذه الدعوة يكمن وراءها فصل العرب عن غيرهم من الأمم المسلمة وخلق النعرات وتمزيق وحدة المسلمين، ونذكر مثل هؤلاء أن العربية هي لغة القرآن محفوظة بمحفظة قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3] وما تعهد الله بحفظه فلن تصل إليه يد العابثين[4].

وتزعمهم بهاء الدين منشيء البهائية التي حل محل البابية، وهذه فرقة ضالة تبنت عقائد زائفة والغت الفرائض وحاربت لغة القرآن وأنكرت اعجازه. ينظر: البهائية – محب الدين الخطيب: ٢٤-٢٨ والبابيون والبهائيون – عبد الرزاق الحسني: ٦٣-٧٧.

(١) الوجودية: مذهب يقرران الفرد هو الموجود الحقيقي ويعد وجود العالم عبثاً، ولا غاية لمخلوق فيه ولا خالق، وعليه فمن العبث القول للطبيعة البشرية والاخلاق والاقدار التي كتبت لهذه الطبيعة أن تظهر إلى عالم الوجود. ينظر: الكتب والناس – العقاد: ٢٥ والموسوعة العربية الميسرة – اشراف محمد شفيق غربال: ١٩٤٥.

(٢) الفوضوية: مذهب سياسي واقتصادي هدام، يرى فيما يراه وجوب مقاومة الدولة لأنها سبب للاستبداد والقضاء على الحريات، كما يعد الملكية الفردية ظلماً ولذلك ينادي أصحابه بالغائها، ويقرر أن العدالة والحرية المطلقة لا تتحققان بوجود دولة وملكية فردية، ولا يخفى أن هذه الفوضوية تؤدي إلى تمزيق الامم واباحة الاموال والاعراض حيث لا نظام يردع ولا وازع يمنع من ارتكاب أي محضور. وهذا الوضع يفتح الباب لاي غاز لاستباحة أي أمة تلتزمه طريقا حيث يكون الاستيلاء عليها ميسرا وسهلا بسبب التفرق والفوضى التي تعمها. ينظر: الموسوعة الميسرة: ١٣٣٤ والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – د. توفيق يوسف الواعي: ٧١٧.

(٣) سورة الحجر – الآية ٩.

(٤) ينظر: كفاح دين – محمد الغزالي: ٥.

٣- اساليب التآمر على الحياة الثقافية والعلمية: يبذل الاعداء جهوداً مضنية في سبيل الوصول إلى أهدافهم التي خططوا لها فهم يتصفحون بطون الكتب على اختلاف انواعها ودرجة ضبطها ودقتها ومن ثم يعرضونها باسلوب خبيث، فتراهم يخلطون الغث بالسمين، ويضعون عليها مسحة من العرض الجيد الذي يخدع القارئ ويحمله على التصديق، واكبر دليل على هذا تأليفهم للموسوعات التاريخية الإسلامية، ودفعهم الجامعات إلى اعتماد كتب المستشرقين العلمية.

وهذا اعتراف من شاتليه يقول: ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبيت من فائدته)[١] ثم يؤكد على أن هذا الفرض (لا يمكن الوصول اليه إلا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنساوية)[٢] كما أنهم لم يكتفوا بذلك بل لفتوا الانظار إلى القشور، ومجدوا القيم الغربية وسفهوا القيم الإسلامية أوجدوا الشعور بالنقص والتبعية الثقافية، وسعوا إلى اضعاف العلاقات الانسانية ولاسيما بين الشعوب الإسلامية، كما شككوا بالتراث الإسلامي وحضارته العريقة وفقهه المتجدد، وحرصوا على إعداد من يحمل راية الاستشراق ويدعو اليها[٣].

واتبعوا عملهم هذا بأساليب علمية تمثلت بما ياتي:

أ.تأليف دوائر المعارف والمعاجم.

ب.إصدار المجلات العلمية.

---

(١) الغارة على الإسلام: ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤.

(٣) ينظر الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: توفيق الواعي: ٧٢١-٧٢٢

ت.القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات المسلمة والمؤتمرات.

ث.إعداد الفهارس للمخطوطات والمطبوعات.

ج.الارساليات البشرية إلى العالم الإسلامي.

ح.الرحلات وجمعيات الصداقة والمجتمعات الكشفية.

خ.دعوتهم للحوار الحر مع طرح العقائد والافكار للوصول إلى الحقيقة.

د. استغلال الاقليات والطوائف والحركات السياسية والبعثات العلمية لصالحهم.

ذ.ربط مساعداتهم للقوب بأهدافهم سواء كانت لمساعدة اقتصادية أو غيرها[1].

---

(١) ينظر الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة – المودودي: ٢٧١ ومعالم الثقافة الإسلامية – د. عبد الكريم عثمان: ١٤٣-١٤٥، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية – د. مصطفى الخالدي – د. عمر فروخ: ٣٥-٥١-٦٥-١١١-١٣٢.

المبحث الثاني
حتمية بقاء الإسلام

بعد أن جرب العالم كل المبادئ الوضعية التي تدعو إلى انقاذ البشرية وسعادتها ولكنها لم تفلح فيما سعت اليه لأن الانسان قاصر مهما كمل فكيف يخطط للعالم وهو يجهل نفسه فحتماً لا تكون المبادئ والنظريات شاملة وكاملة لأنها من وضعه بوصفه المتقدم فلم يبق أمام الانسانية إلا أن تتجه إلى الإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لها لأنه يوافق فطرتها وينتشلها من الشقاء الذي لم تجد منه مهرباً يبعدها عنه لابل ضلت في متاهات تمزق اعماقها، وتغرق في بحر من اليأس وتتلضى في ويلات أذهلتها فأسلمت قيادها للضلال والتيه فعانت ما عانت، فما عليها إذن إلا أن تمسك بالإسلام لأنه قارب نجاتها وموئل سعادتها وحريتها واطمئنانها، فكل المؤشرات توحي بجلاء إنه المرشح لإنقاذ البشرية لكونه يمتلك سر قوته وحتمية بقائه للمسوغات التي سأعرضها في المطالب الاتية:

المطلب الاول: البشارات النصية

يتضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوصاً كثيرة تحمل في ثناياها ما يطمئن النفس ويؤكد إن الإسلام سيقود البشرية وينقذها مما نتخبط به من مناهج وأفكار وضعية وتخلصها من الشتات والفرقة والتناحر والفوضى ليسود الوئام والنظام وتعم السعادة وينشر العدل والامن والاطمئنان وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- البشارات القرآنية:

١-قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] إن الذي يديم التفكير في النص سيتجلى له المعنى واضحاً من إن الله ﷻ أشار إلى مستقبل الإسلام. الذي يسعى الاعداء إلى اطفاء نوره سواء بما يفترون عليه أو بما يحرضون اتباعهم إلى محاربته، واضافة الاطفاء إلى أفواههم لأنها هي التي تنطق وتكيد وتدس وتسعى بقالة السوء، وهذا من شأنه أن يذهب بنور الحق الذي جاء به الإسلام، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ويأبى الله﴾ إشارة إلى قوة الحق القائمة على نصرة الدين التي لا تقف أمامها قوة ولا يحجب نورها غربال، وهذا الوعد لا يتبدل من اتمام نور الدين وبلوغ كماله وغايته والذي يطمئن قلوب المؤمنين ويسوء الكافرين، واظهار الدين في الآية توكيد اخر لاتمامه والذي سيصبح دين الانسانية كلها بتمكينه بالحجة والبرهان والسيف والسنان مهما كاد المشركون ومكر الماكرون[2].

٢-قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ*تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ*وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ*يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) سورة التوبة الايتان: ٣٢-٣٣.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٢/ ٣٤٩-٣٥٠ والتفسير القرآني للقرآن – لعبد الكريم الخطيب: ١٠/ ٧٤٤-٧٤٥ وفي ظلال القرآن سيد قطب ٢٠٥-٢٠٧.

وَفِي الاخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1] الآيات الكريمة ليست مجرد مثل ضربة ﷻ ليؤنس به المؤمنين ويشجعهم، ولكن هو الواقع أن عاجلا أو اجلا، وما الاستفهام التي صدرت به الآيات إلا التنبيه والالتفات إلى المثل والوقوف عنده وتدبره واخذ العبرة منه لأنه يدل على أمر النظر فيه، فالكلمة الطيبة هي كلمة الحق شبهت بالشجرة الطيبة لأنها ثابتة سامقة مثمرة، لا تعصف بها ريح ولا تزعزعها اعاصير ولا تتمكن منها معاول الاعداء، فكذلك هي كلمة الايمان تعشقها النفوس وتستقر في الفطر وتثمر بالعمل الصالح المتجدد الذي لا تغيره بهارج الحياة ولا تتقاذفه الاهواء ولا تفرقه سبل لأن الله ثبته على ذلك لما يستقر في نفسه من ايمان ولما يكسبه من عمل صالح اذن فلا قلق ولا حيرة في الحياة المتلاطم موجها ولا في الآخرة حيث المصير المحتوم. أما الكلمة الخبيثة فهي كلمة الباطل شبهت بالشجرة الخبيثة لأنها شجرة قد تتشابك أفنانها وتظهر ضخامتها ولكنها في واقع الحال هشة فلا عروق تمسكها ولا ثمرة صالحة تنتجها، فكذلك كلمة الباطل تمجها النفس وينبذها القلب لا نفع فيها بل ضرر على صاحبها وعلى غيره ولذلك فأصحابها في قلق دائم وحيرة وتردد وهم منبوذون في الحياة الدنيا ولا يحصدون إلا الخسران في الاخرة[2].

ومما تقدم يتضح لنا أن الخير ينمو ولا يموت مهما زاحمه شر وسد الطريق عليه، لأن الشر مضمحل مهما عظم وفان مهما استطال، ولذلك فان الإسلام باق له الغلبة لأنه صدق ثابت وما عداه باطل زائل.

---

(١) سورة ابراهيم الآيات: ٢٤-٢٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن سيد قطب: ٥/ ١٥٤-١٥٥ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤٣٣.

٣-قال سبحانه: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الارْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الامْثَالَ﴾[١] في الآية الكريمة شبه ﷻ الهدى الذي أنزله على رسوله ﷺ لحياة القلوب وسعادة الأرواح بالماء الذي أنزله لحياة الاشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الذي يضطر اليه العباد، بما في النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالاودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يسع علما قليلا، وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق اليها، بالزبد الذي يعلو الماء، ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخلصيها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة. كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والارادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وايثارة، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق، وضرب الامثال ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال[٢].

ولما كان الإسلام كله خير ونفع فهو باق وكل ما عداه مضمحل وزائل.

---

(١) سورة الرعد الآية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤١٦.

بـالبشارات النبوية:

وردت بشارات كثيرة من لدن النبيﷺ تشير إلى وصول الإسلام مشارق الارض ومغاربها، والاخذ بيد العالم وانتشاله من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق حيث العز والطمأنينة والسعادة ومنها ما يأتي:

١- قالﷺ : (إن الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها)[١] فالحديث يؤكد أن ملك أمة محمدﷺ سيعم الكوكب الارضي، وهذا استشراق لمستقبل هذه الامة وظهور دينها على سائر الاديان.

٢- وقالﷺ : (ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله دين الإسلام وذلا يذل به الكفر)[٢]. وهذا دليل آخر من سيد الرسل من أن الإسلام سيعم بنوره بقاع العالم حتى يدخل كل بيت سواء أكان في المدن أم في الريف، حيث العزة للإسلام وأهله والذلة والانكسار للكفر وأهله، فهذا تميم الداري يقول: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية)[٣]، وكل الذي ذكر وغيره كثير يؤكد أن الغلبة والظهور والتمكن سيكون في النهاية لدين الله جل جلاله وعظم نواله.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢١٥

(٢) مسند الامام أحمد: ٤/ ١٠٣، ومعجم الطبراني الكبير: ١/ ١٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير: ٢/ ٣٤٩.

المطلب الثاني: الإسلام دين الفطرة

التدين صفة عامة يشترك البشر جميعهم بها فلا توجد أمة لا دين لها، ومن هذا المنطلق ونتيجة للدراسات العلمية فقد أكد كثير من العلماء أن فكرة الدين هي فكرة فطرية مركوزة في عقل الانسان، أوجدها موجد أعلى وهو الله ﷻ في مقدمة من قال بهذه الفطرة هو العالم الاسكتلندي اندريه لنج[1].

لا بل ذهب الدكتور بول كليرانس استاذ الطبيعة الحيوية معللا ذلك علمياً بقوله: (وقد لمس الناس عامة – سواء بطريقة فلسفية عقلية أو روحانية – أن هناك قوة فكرية هائلة ونظاما معجزا في هذا الكون يفوق ما يمكن تفسيره على اساس المصادفة أو الحوادث العشوائية التي تظهر أحياناً بين الاشياء غير الحية التي تتحرك أو تسير على غير هدى ولاشك أن أتجاه الانسان وتطلعه إلى البحث عن عقل اكبر من عقله، وتدبير أحكم من تدبير وأوسع لكي يستعين به على تفسير هذا الكون، يعد في ذاته دليلا على وجود قوة اكبر وتدبير اعظم هي قوة الله وتدبيره. وقد لا يستطيع الانسان أن يسلم بوجود الخالق تسليما تاما على أساس الادلة العلمية المادية وحدها، ولكننا نصل إلى الايمان الكامل بالله عندما نخرج بين الادلة العلمية والادلة الروحية، أي عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المتسع إلى اقصى حدود الاتساع، المعقد إلى اقصى حدود التعقيد مع احساسنا الداخلي والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذي ينبعث من أعماق نفوسنا. ولو ذهبنا نحصي الاسباب والدوافع الداخلية التي تدعو ملايين الاذكياء من البشر إلى الايمان بالله لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ولاعد، ولكنها قوية في دلالتها على وجوده تعالى، مؤدبة إلى الايمان به)[2].

---

(١) ينظر: روح الدين الإسلامي – عفيف عبد الفتاح طبارة: ٧٣.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم: ٣٧.

إذن فالفطرة تقودنا إلى الاعتراف بوجود الله جل وعلا دون حاجة إلى برهان عقلي وهذا ما أكده بردون بقوله: (إن ضمائرنا قد شهدت بوجود الله قبل أن تكتشفه عقولنا)[1].

والقرآن الكريم له قصب السبق في هذه الناحية فقد جاءت هذه الحقيقة بقوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2] فالقرآن يقرر إن الدين فطرة في الانسان فطر الله الناس عليها، وخلقهم على استعداد فطري لقبول هذا الدين كما يقول الرسولﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[3] وفطرة الله على هذا الاساس، هي ما أودعه الله سبحانه في الانسان من قوى عاقلة، وطبيعة سليمة، في أصل الخلقة، تقبل الطيب وتنفر من الخبيث وهذا هو ملاك أمر الدين، دين الله الذي ارتضاه لعباده)[4].

وهذه الفطرة، تتعرض لعوارض كثيرة وآفات متعددة، فتفسد طبيعتها وتشوه معالمها ولذلك تحتاج لما تتداوى به[5]، وهذا ما استرعى القرآن اليه انظارنا ووجهنا إلى حقيقة نفسية واقعية تشير إلى قبس الايمان والاحساس الداخلي الذي يشعر به الانسان ولاسيما حينما يتحرر من هوى النفس وسلطان الوهم أو يتعوض

---

(١) الإسلام – د. احمد شلبي: ٧٦.

(٢) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي: ٥/ ٣٣-٣٤.

(٤) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب: ٥١٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥١٤.

لشدة تلم به تدفعه إلى اللجوء إلى الخالق العظيم[1] وهذا بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[2] وقد صور لنا القرآن الكريم احساس فرعون حينما أدركه الغرق، وأيقن أن لا نجاة له منه، فاعلن إيمانه حيث لا ينفع الايمان قال سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ*آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ*)فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[3].

ومما تقدم يتضح لنا أن الله ﷻ يربط بين الفطرة الانسانية وطبيعة الدين الإسلامي، وكلاهما من خلقه لذلك فهما متناسقان طبيعة واتجاهاً، وكلاهما ثابت بدليل قوله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[4] فاذا انحرفت النفس عن فطرتها فلا يردها اليها إلا الدين[5] لأنه جاء بوصايا شملت نواحي الحياة الانسانية وهذا ما يشير إلى التطابق الموجود بين الفطرة الانسانية والتشريع الإسلامي وهذا ما تؤكده التشريعات على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع والعلاقات العامة والمعاملات والعبادات وغيرها[6].

---

(١) ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت: ٣٥.

(٢) سورة لقمان– الآية: ٣٢.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٠ –٩٢.

(٤) سورة الروم: من الآية ٣٠.

(٥) ينظر: في ظلال القرآن – سيد قطب: ٦/ ٤٥٣-٤٥٤.

(٦) ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت: ٢٣٣-٢٣٤.

وعليه فإن الترابط بين الدين والفطرة يعد من اعظم الادلة على استمرارية البقاء والدوام لانسجامهما وتهيئة متطلباتها بما يسعدها ويطمئنها ويحررها ويربطها بخالقها ويدفعها إلى الالتزام به وتطبيق أوامره واجتناب مناهيه مما يجعله ديدن حياة الناس يحفظونه وينافحون عنه لأنه سر وجودهم وموئل فطرتهم.

المطلب الثالث: انهيار الحضارة الغربية

إن الحضارة الحية هي التي تقدم للانسان ما يحفظ له دينه وحياته وماله وعقله ونسله كي يسعد في دنياه ويفوز في أخراه، ولكننا نجد الحضارة المعاصرة مع أنها هيأت للانسان من اسباب الرفاهية ومظاهر التنعم الكثير لكنها لم تفلح من أن تجعله يحس بالسعادة والاستقرار لأنها التزمت جانب العلم ونبذت الدين فاختل توازنها، مما جعلها تحول الانسان إلى عبد للمصنع موجهة همها إلى الانتاج لا غير[1].

لذلك وجد من بين اصحاب الحضارة المعاصرة من يقول: هل (من الافضل كثيراً ان نوجه اهتمامنا إلى انفسنا، أو ان نبني بواخر اكثر سرعة وسيارات تتوافر فيها اسباب الراحة، واجهزة راديو اقل ثمنا أو تلسكوبات لفحص هيكل السديم الذي على بعد سحيق وما هو مدى التقدم الحقيقي الذي نحققه حينما تنقلنا إحدى الطائرات إلى أوربا أو إلى الصين في ساعات قلائل؟ هل من الضروري أن نزيد الانتاج بلا توقف حتى يستطيع الانسان أن يستهلك كميات اكثر من الاشياء التي لا جدوى منها؟ ليس هناك أي ظل من الشك في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطائنا الذكاء والنظام الاخلاقي والصحة والتوازن والامن والسلام)[2].

---

(١) ينظر: الإسلام منهاج وسلوك- احمد عبد الجواد الدومي: ٩٧.

(٢) الانسان ذلك المجهول: الكسيس كاريل: ٦٠-٦١.

وهذا يؤكد أن الحضارة المعاصرة مع إهمالها الانسان فقد حملته ما لا يطيق يقول روجية غارودي: (إن حضارتنا تقوم على أسس خاطئة، فنحن في المرحلة الاخيرة من الحضارة التي لا تكاد تبدأ مازلنا لا نعرف أن نحدد لانفسنا غايات حقيقية، ولا نسيطر على وسائلنا، إن حضارتنا تقوم على هذه الموضوعات الثلاث:

تحيل الانسان إلى العمل والاستهلاك.

تحيل الفكر إلى الذكاء.

تحيل اللانهائي إلى الكم.

إنها حضارة مؤهلة للانتحار، انتحار لفقدان الهدف يشهد على ذلك ضروب الفرار إلى المخدرات، وانتحار المراهقين باعداد اكبر في الاصقاع الاغنى، انتحار لافراط الوسائل يبرهن على ذلك مثلا المنظور الجائز لنضوب المصادر الطبيعية والتلوث، ذلك نتيجة لازبة التصور لا يرى في الطبيعة شيئا أخر، سوى أنها مستودع ومعمل لمعالجة القمامة، والمنظور يتصرف بوسائل هدم الحضارة بهذين الاعتبارين)[1].

أهذه حضارة يدعونها، أم هاوية يسيرون اليها؟ فان حضارتهم التي يتبجحون بها إلى زوال وكما يقول فيلسوف التاريخ اشينجلر (ان الحضارة كائن عضوي طبيعي، ينشأ فينمو ثم يزدهر فيشيخ حتى يلحقه الفناء)[2].

لأنها حضارة تتأثر سلباً وايجاباً بفكر الانسان ونهجه فتستقيم إذا استقام وتنحرف إذا انحرف والحضارة المعاصرة اليوم في وسط الفكر المنحرف لم تراع فطرة الله، ولم تحافظ على الخصائص الذاتية للانسان لأنها تجهل ذلك فجميع (ما

---

(١) حوار الحضارات: ٤١-٤٢.

(٢) في فلسفة الحضارة الإسلامية د. عفت الشرقاوي: ١٨٨.

حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان ما زال غير كاف، وان معرفتنا بأنفسنا بدائية في الغالب)[1].

كما أنها لم توازن بين تقدمها المادي والروحي فعملت على تقدمها المادي واهملت الروح فاصبحت عرجاء في مسيرتها يدفعها إلى ذلك شراهة الانتاج وحب الثراء لأن (الصناعة العصرية تنهض على مبدأ الحد الاعلى من الانتاج باقل التكاليف حتى يستطيع فرد أو مجموعة من الافراد الحصول على اكبر مبلغ مستطاع من المال، وقد اتسع نطاقها دون تفكير في طبيعة البشر الذين يديرون الآلات أو دون أي اعتبار للتأثيرات التي تحدثها طريقة الحياة الصناعية)[2] كما إن الالحاد والاباحية التي تصطبغ بها الحضارة المعاصرة يصطدم والفكرة الانسانية لما لها من اثر فاعل على الحياة الاجتماعية (فارتفاع نسبة تعاطي المخدرات بين الاحداث وانتشار الحانات التي تقدم الخمور وكتب الجنس وقصص الجنس وأفلام الجنس، وانتشار نوادي العراة بكثرة مخيفة على الشواطئ الشرقية خاصة)[3] يبرهن تلك الاباحة ويكشف انحلال الحياة الاجتماعية، وكل هذا يهدف إلى اغتيال عقيدة الانسان وافساد فطرته وإثارة غرائزه، مما يحمله الركون إلى الترف والدعة وهذا ما يبعده عن الابداع ويفقده مقارعة الخطوب، ولا تستطيع أمة بناء حضارتها ما لم يمتط افرادها متن الصبر ويخوضوا غمار الكفاح حتى لا يكون الترف سبب ضياع لمكارم الاخلاق لأن ضياعها هو احد نتائجه وسبب من أسباب تداعي الحضارة لان (مشكلة الحضارة مشكلة اخلاقية، إن الانسان لن تكون له قيمة حقيقية إلا من

---

(١) الانسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل: ١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨.

(٣) حصوننا مهددة من داخلها – د. محمد محمد حسين: ١٠٤ نقلاً عن تقرير لجنة الكونغرس الامريكي والذي نقلته مجلة التحرير بعددها (٣٤٣) تحت عنوان: اخلاق المجتمع الامريكي منهارة.

خلال كفاحه ليكون ذا خلق وإذا أعوزه الاساس الاخلاقي تداعت الحضـــارة)[1] وتأسيساً على ما تقدم فما قيمة العلم الذي سيكون سبباً لانتحار الحضارة وهـــلاك البشرية، فها هي الحضارة المعاصرة تختصر بعدما انتابتها الامراض المذكورة آنفـــا، وخانت حكماءها العقاقير، والى جانب هذا فان غياب الجانب الروحي زاد الخـــرق على الراقع وهذا ما تؤكده حتمية الانهيار لا محالة لفقـــدان مقومـــات الوجـــود والاستمرار وتحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[2] وعليه قد يتوهم قصير النظر وعديم التفكـــير أن الحضـــارة الإسلامية كغيرها من المدنيات يعتريها التوارث بدليل أنها بدأت قوية ثم ركـــدت، فهذه النظرة السطحية للحضارة الإسلامية غير صحيحة لا بل بعيدة عـــن المنطـــق السليم لان الإسلام ليس مدنية، وليس نتاج بشر بل هو شرع الله ومنهاجه الـــذي يجب العمل به في كل مكان وزمان[3]. هذا وأن الركود في الحضارة الإسلامية ليس ركوداً في مبادئها وإنما الكسل والخمول في متبعيها. فجانبوها وركنوا إلى قوانـــين وضعية على وفق هواهم فلم يفلحوا[4]، ولهذا فان حضارة الإسلام مســـتثناة عـــن غيرها من حركات التاريخ فلا يصيبها توارث الحضارات بفضل مـــا تمتلـــك مـــن مقومات[5]، فلا يمكن قياس حضارة ربانية باقية بأخرى إنسانية فانية.

---

(١) القيم الإسلامية للفكر الإسلامي والثقافة العربية – أنور الجندي: ٤٨٦.

(٢) سورة الرعد: من الآية ١٧.

(٣) ينظر: الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد: ١١٢.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١١٢-١١٣، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربيـــة – د. توفيق يوسف الواعي: ٧٢٩.

(٥) للحضارة الإسلامية مقومات عظيمة هي:

أ- الربانية، ب- الشمول، ج- الجمع بين الثابت والمرونة، د- التوازن، هـــ- الواقعية.

المطلب الرابع: الشهادات الواقعية لعلماء الغرب المنصفين بحاجة العلم إلى الايمان

لقد تنبه علماء الغرب المنصفون إلى الخطر الذي يكمن في الحضارة المادية، وما ستجره على البشرية من ويلات مع تقديمها لوسائل الرفاهية ولكنهم انذروا بالبلاء الذي سيقع ان لم نتدارك ذلك ونمزج بين مادية الحضارة وروحية الايمان ليتم التوازن وفيما ياتي بعض الشهادات الواقعية التي أدلى بها العلماء المنصفون لتدارك الخطر الوبيل من الاستغراق في العلم بعيداً عن هداية الخالق العظيم، فهذا شاشاوان يبين إن الانسان مهما كانت منزلته لابد من التأمل في الحياة الاخروية بقوله (مهما يكن تقدمنا في العصر الحاضر علمياً أو صناعياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، ومهما تقدمنا في هذه الحركة العظيمة للحياة وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء عظاما كنا أو متواضعين خياراً أو شراراً يعود إلى التأمل في هذه المسألة الازلية وفي الاخروية)[1] وهذا توينبي يأمل أن يكون خلاص الغرب من الدمار الحضاري الذي أغراهم فباعوا ارواحهم فأقفرت من دين يطمئنها إلا بالانتقال من الاقتصاد إلى الدين[2] ويؤكد (ان الغربي يستطيع بواسطة الدين أن يتصرف تصرفاً روحياً يضمن سلامته بالقوة المادية التي القتها بين يديه ميكانيكية الصناعة الغربية)[3] لا بل أدرك كثيرون أن الدين الإسلامي يوافق

ينظر: خصائص التصور الإسلامي – سيد قطب: ٨٣-٨٩-١٧٣-١٨٢-١٨٣، والخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي: ١٣٤-١٣٥-١٥٠-١٥٣-٢٠٥-٢٠٨.

(١) الإسلام منهاج وسلوك – احمد عبد الجواد الرومي: ١٢.

(٢) ينظر: سقوط الحضارة – كولن ولسون: ٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٥.

الفطرة وهو كفيل باسعاد أهله فهذا شبرك يقول إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمدﷺ اليها فهو مع أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الاوربين أسعد ما نكون، لو وصولنا إلى قمته بعد ألفي سنة)[1] ويذهب برناردشو إلى أن محمداﷺ يعد منقذ الانسانية بقوله: (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهظم لأطوار الحياة المختلفة وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية، وأن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث فسوف ينجح في حل مشكلاته)[2].

ويصف الين برودريك أن الإسلام يبقى قويا لم يضعف بقوله: (إن الإسلام هو المذهب الوحيد بين المذاهب التبشيرية الذي لم يضعف في الارض التي نبت فيها ويلاحظ أنه عندما يفتح الدين الإسلامي بلداً ما يسيطر عليها كلية فانه لم يحدث ليومنا هذا أن خرج منها)[3] لأنه الدين الذي يضمن السعادة والتقدم والحرية كما يقول برناردشو: (في المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجئوا إلى دين يحمي الفضيلة فسيجدون الإسلام الدين الوحيد الذي يضمن لهم التقدم والنجاح والإسلام دين الحرية لا دين استعباد وقد قرر أخوة الناس منذ الف وثلاثمائة وخمسين عاما، وهو المبدأ الذي لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الاوربيين والامريكيين الحاضرين)[4] هذا وغيره كثير يشير إلى أن سحر الحضارة لم يعد يخدع الابصار لأن الحق أبلج، فحيثما وليت وجهك في أرجاء المعمورة تجد رجوعاً إلى الله ونفوساً ظامئة للدين حتى تتفيأ ظلاله بعد أن أضناها لفح الهجير

---

(١) حتى يعلم الشباب – عبد الله ناصح علوان: ٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٢.

(٣) منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية – أنور الجندي: ٦٢.

(٤) المصدر نفسه: ٦٢.

وكدها طول المسير وهي تبحث عن مصير، فلم تجد غير الإسلام منقذاً لأنه الدين الذي ارتضاه الله سبحانه للبشرية لكونه يوافق فطرتها ويلبي حاجاتها وهذه من أهم مقومات استمراره وبقائه وسوف لن تفلح أي محاولة لابعاده عن الحياة لأنه دين الواقعية في جميع مجالاتها العلمية والشعورية لأن الزلة ليست من طبيعة هذا الدين[1].

(١) ينظر: المستقبل لهذا الدين – سيد قطب: ٩٥.

الخاتمة

لقد عشت وأنا اتتبع عناصر موضوعي الذي كان نداء روح تاقت للابحار في بحره المتلاطم علها ترجع بنوال، فكانت للمسيرة محطات وتأملات سجل فيها الفكر نتائج ذلك وكما يأتي:

١- كشف البحث عن أسباب التآمر التي كان وراءها حقد دفين وحسد واضح وخوف من الخسران وطمس للفطرة ونقمة من المؤمنين وسوء تقدير من عقل ضل في متاهات الشهوات.

٢- أظهر البحث ان اعداء الإسلام استهدفوا منع انتشاره وعملوا على بث الفرقة بين المسلمين ليكونوا لقمة سائغة وعملوا على تحطيم الوحدة الفكرية ليفرقوا شمل الامة ونفروا من الحكم الإسلامي وغمطوا حق لغة القرآن لكونها إحدى وسائل وحدة الامة وعملوا على تدمير الاخلاق.

٣- أبرز البحث اساليب الاعداء والتي تمثلت في التشكيك في العقيدة وتدمير الحياة الاجتماعية وطعن الحياة الثقافية والعلمية.

٤- بين البحث ان الهجمات والغزوات والاساليب التي حيكت ضد الإسلام كان مصيرها اما الفشل أو الاندحار أو الكشف يفضل تمسك المسلمين بدينهم ووعيهم تجاه مخططات اعدائهم.

٥- أكد البحث ان التيه الذي تتخبط الانسانية به لا ينتشلها منه إلا الإسلام فهو قارب نجاتها لحتمية بقائه ومستقبلة بدليل المبشرات النصية ولكونه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولوجود عوامل انهيار الحضارة الغربية وشهادات علماء الغرب المنصفين بحاجة العلم إلى الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرست المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم:

١. إرادة التغيير في الإسلام – صابر عبد الرحمن طعيمة– مطبعة الاستقلال الكبرى – القاهرة – الطبعة الاولى / ١٩٨٦م.

٢. الإسلام – أحمد شلبي – مطبعة السنة المحمدية – الطبعة الرابعة – القاهرة ١٩٧٣.

٣. الإسلام ضرورة عالمية – زاهر عزب الزعبي– الهيئة المصرية للتأليف المطبعة الثقافية – ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠.

٤. الإسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت – دار القلم– القاهرة –ب ت

٥. الإسلام على مفترق الطرق – محمد اسد – ترجمة. عمر فروخ– دار العلم للملايين – الطبعة التاسعة – بيروت– ١٩٧٧م.

٦. الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة – أبو الاعلى المودودي – تعريب خليل احمد الحامدي – دار القلم – الطبعة الاولى – الكويت – ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٧. الإسلام منهاج وسلوك – أحمد عبد الجواد الدومي– المكتبة العصرية – صيدا – بيروت– ب ت.

٨. الإسلام والانسان – ابراهيم عوضين– شركة الاعلانات الشرقية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٩. إلى كل اب غيور– عبد الله ناصح علوان– الطبعة الاولى– دار السلام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

١٠. اخلاقنا أو الدمار – ابراهيم النعمة – الطبعة الثانية – شركة ومعمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة – العراق– الموصل / ١٩٨٦م.

١١. الاعمال الكاملة لجمال الافغاني – جمع وتحقيق محمد عمارة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت/ ب ت.

١٢. الانسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل – مكتبة المعارف – بيروت– الطبعة الثالثة/ ١٩٨٠م.

١٣. الانسان في القرآن – عباس محمود العقاد – دار الكتاب العربي– بيروت– الطبعة الثانية/ ١٩٦٩م.

١٤. البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم – عبد الرزاق الحسيني– دار الحرية – بغداد– الطبعة الخامسة – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٥. البهائية– محب الدين الخطيب– الطبعة الثانية / ١٣٩٣هـ.

١٦. بين الكتب والناس – عباس محمود العقاد – مطابع الغندور– بيروت– الاولى/ ١٩٦٦م.

١٧. تاريخ الامام محمد عبده – محمد رشيد رضا – مطبعة المنار– مصر/ ١٣٤٤هـ.

١٨. التبشير والاستعمار – –د. مصطفى الخالدي ود. عمر فروخ – الطبعة الثانية – بيروت/ ١٩٥٧م.

١٩. تجديد الفكر الإسلامي – د. محسن عبد الحميد – دار الصحوة / ١٩٨٥م.

٢٠. التربية الإسلامية في ظلال القرآن – عبد الله ياسين – الطبعة الاولى– دار الارقم – عمان – ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١. تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٢٢. التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب– دار الفكر العربي– مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– لعبد الرحمن بن ناصر السعدي –ى مركز فجر للطباعة – الطبعة الاولى – القاهرة – ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤. حتى يعلم الشباب – عبد الله ناصح علوان: الطبعة الخامسة – دار السلام – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٥. حصوننا مهددة من داخلها – د. محمد محمد حسين– مطابع دار الكتب – بيروت– الطبعة الثالثة – ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٦. الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها– أبو الاعلى المودودي– ترجمة محمد عاصم حداد– الدار العربية للطباعة – بيروت – ب ت.

٢٧. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – د. توفيق يوسف الوزاعي: دار الوفاء للطباعة – الطبعة الاولى – ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢٨. حضارة العرب – غوستاف لوبون– نقله إلى العربية عادل زعتر– مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه/ ١٩٦٩م.

٢٩. حوار الحضارات – روجية غارودي– ترجمة د. عادل العوا– منشورات عويدات – بيروت– باريس– الطبعة الثالثة/ ١٩٨٦م.

٣٠. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – سيد قطب – الطبعة الثالثة– ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.